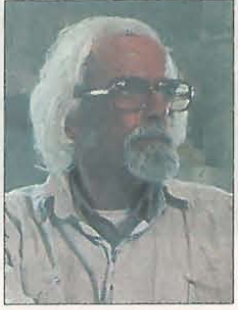

كتب أحمد بزون:

لقّبوه ذات يوم «رودان الثاني»، وهو أيضاً ثاني النحاتين البصابصة الكبار، بعد شقيقه الأكبر ومعلمه ميشال الذي رحل العام ١٩٨٠، وقبل شقيقه الأصغر يوسف الذي غاب منذ سنتين، وثالث الراحلين من عرين النحت في راشانا، وشيخ نحاتي لبنان.

هو الفنان النحات ألفريد بصبوص، عميد النحت في لبنان وأبوه ومحتضن أول تجربة محترف دولي للنحت في لبنان، منذ ١١ عاماً، ومؤسس متحف البارك الدولي للنحت في الهواء الطلق براشانا منذ سبعة أعوام. ورائد النحت نصف التشبيهي في لبنان. أخلص للحجر، أكثر من الخشب والمعدن، وصادقه وفتح حواراً طويلاً معه، إلى أن كشف كل منهما سر الآخر.

ألفريد بصبوص الذي بقي، حتى الثمانين من عمره، يستمد الصلابة من صخور راشانا، ويقف كالرمح كلما زاره صديق.. ألفريد أعياه المرض بعد سنتين من المعاندة، فلوى إزميله، وأسبل جسده لخالقه وانحنى لعصف الموت.. لكن حياته الضاجة بالحيوية والإبداع تستمر في نتاجه الذي يملأ متحفه، والذي تفيض به إحدى عشرة ساحة وحديقة عامة في أكثر من منطقة لبنانية.

أضاءت تجربته محطات فنية كثيرة، فقد اشتغل في محترف كولامارتيني، وأحب زادكين أن يسأله مرة رأيه في إحدى منحوتاته، ثم كان له أن يعرض إحدى منحوتاته في متحف رودان. لا نستطيع أن نتذكره من دون أن يمر في بالنا شريط يوميات محترف راشانا السنوي الذي أسس لنهضة نحتية في لبنان خلال العقد الأخير من

(التتمة ص ١٦)

ألفريد بصبوص كاهن راشانا

(تتمة المنشور ص ١)

تاريخ لبنان، إذ انتشرت، من بعد تجربته، عدوى المحترفات في عاليه وجبيل وجونيه وإهدن وطرابلس ورأس المتن والنبطية والخيام وسوى ذلك من المناطق اللبنانية، فكان المحرّك الأساسي لحركة المحترفات الدولية والعربية والمحلية، ومصدر استلهام تجربة ناجحة تركت أثرها الحيوي والبارز في الحركة التشكيلية اللبنانية... محترف راشانا الذي كان المرض سبباً في خلو العام ٢٠٠٥ منه.

حدائق الفن

كان ميشال بصبوص المحرّض الأساسي لألفريد منذ البداية، عندما لفت نظره إلى أن النحات المبدع يستطيع أن يسحر الحجر، ويستنطقه، ويجعل الحياة تدبّ في جنباته، وأضاء له الطريق، وفتح له سبل باريس، قبل أن يتركه يغالب الزمن ويصنع مجده بإيقاعات إزميله وبأحلامه الكبيرة التي نمت وتشكلت وسط غيوم الغبار التي نفثتها المنحوتات أمام ناظريه.

من يشاهد شوارع راشانا المزروعة بالمنحوتات يدرك إلى أي حد كان النحت جزءاً من حياة البصابصة، بل إلى أي حدّ شكّل النحت كل كيان «كاهن الفن» هذا، ابن الكاهن الكنسي، الذي كان يتنقل بين المنحوتات كمن يتفقد أبناء رعيته من بني البشر، وعرف كيف يحوّل نفسه إلى زرع دائم في حدائق الفن التي أنبتت أرفع القامات.

لا نستطيع أن نستعيد شريط يوميات ألفريد بصبوص في راشانا، إلا ونتذكر تلك الضحكة التي كان يدور بها على الجميع في بيته ومحترفه ومتحفه، وتلك القامة النحيفة المستنفرة دائماً للعطاء، وذلك الوجه المشدود دائماً إلى السماحة والطيبة والتوتر الأبيض. لم يتعرّف إليه فنان أو صحافي أو ناقد أو فرد من جمهور الفن، إلا وعَلِقَ في شباك صداقته الشفافة.

ابن الواحد والثمانين عاماً كان لا يزال، إلى ما قبل أن يغلب المرض جسده، عرس راشانا ونجم سهرات محترفها، معتمداً على صيحة دبكته، وقفزاته في حلبة الرقص. لا يسبقه أحد في رفع الكأس وتحريك دفة المسامرة.

ألفريد، الفنان الذي عاند الحجر وليّنه وطواه وبث فيه روحه، كان يأتي الحجر مباشرة من دون مواربة أو تخطيط مسبق، إذ لم يكن الأسلوب الأكاديمي نبراسه في ما أنتج من أعمال. كانت الأفكار والرؤى تولد وتتّضح أكثر فأكثر كلما أوغل في الحجر تعرية وتكشّفت أمامه منابته وطبقاته وشراييته المفاجئة. ما جعل هذا الأسلوب متناسباً وأساليب النحت الحديث الأكثر ميلاً إلى التجريد.

الحج إلى راشانا

فضّل ألفريد بصبوص رحلة الحجر دون سواها من أعمال النحت الأخرى. ربما لأنها كانت تسمح له بالتحرر أكثر من الأفكار المسبقة والمستهلكة، وتدفعه أكثر نحو عمل يحمل منحى التجريب المبسّط في التعامل مع المادة. كأن هوى الحجر كان شريكاً لهوى الفنان، وكل حجر بالتالي هو مزاج آخر وولادة فكرة جديدة، ما يجعل التجديد أوالتنويع الأسلوبي في أعمال ألفريد حاضراً بشكل طبيعي جداً، بل إن ذلك يترك للعفوية مكاناً بارزاً في تشكيل الكتل وتأليف الخطوط واكتشاف مكامن الإبداع في كل عمل من جديد. لذلك كانت رحلته مع الأشكال تسير على قلق دائم، فهو عمل دائماً على خلق تلك المسافة القلقة بين الواقع الذي يجسده وما ينتهي إليه الشكل من اختصار واختزال لما هو حسي وحار، مرتقياً بالإشارات إلى ما هو ترميزي، يوحي بالشكل من دون أن يسكن إليه ويطارده من دون أن يقترب منه.

ألفريد بصبوص المتعبد لطبيعة راشانا سئم الانصياع للأشكال المرئية، فراح يبتكر مخلوقاته بروح متمردة على الواقع، بعد مراحله الأولى التي أبرز فيها قدرته على تزويج المنحوتة للواقع. وكانت المرأة أكثر الأشكال حضوراً في منحوتاته، المرأة العارية العفيفة والمغرية، والمرأة الأم التي تفتح حضنها لأنهار العاطفة والحنان. وقد تحضر المرأة بكل قامتها المشوقة الطويلة، أو بالإشارة إليها من خلال جزء منها. المهم أن ألفريد بصبوص الذي كرر بعض أشكاله، لم يعلق بالنمطية، فكان يهرب من نفسه دائماً،